الصّدق في الحوار وأثره في الإقناع بالإسلام
تطبيقاً على حوار هِرَقْل لأبي سفيان - رضي الله عنه

إعداد الدكتور/ علي أبو الفتح حسين حمزة
أستاذ مشارك – كلية الدراسات الإسلامية
جامعة النيلين – الخرطوم. السودان
aliaboualfateh@gmail.com

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية حوار هِرَقْل لأبي سفيان - رضي الله عنه -، وما يستفاد منه من دروس، وإظهار الأثر المترتب على صدق الحوار استهداءً بهذا النموذج، وتتبلور مشكلة هذه الدراسة في أن الحوار المؤثر لابد من اشتماله على قيمة الصدق التي يتحلّى بها كلٌ من طرفي الحوار؛ حيث إن أعظم ما أثّر في حوار هِرَقْل لأبي سفيان - رضي الله عنه -، هو صدق أطراف الحوار، ويكتسب هذا الموضوع أهميته من المكانة العليّة التي تتبوؤها قيمة الصدق لا سيما في الحوار والمناقشة؛ حيث دلّت كثير من الوقائع على أن الحوارات الصادقة تثمر ثمار يانعة من أشهرها هذا النموذج الذي حدث في صدر الإسلام مع النصارى، وقد استخدم الباحث في معالجة هذا الموضوع المنهج الاستقرائي التحليلي، وتبين من خلال الدراسة أن الصدق يساعد في نجاح الحوارات وقطعها للتخاصم وتقريب الشّقة؛ خاصة إذا رُوعِي فيه آداب الحوار وشروطه، وأن حوار الأديان عامة وأهل الكتاب خاصة له تاريخه وعمقه وأهميته في حركة الدعوة الإسلامية، وأوصت الدراسة مراكز البحوث، ومؤسسات الدعوة لاسيما القائمة في بلاد غير إسلامية بإقامة دورات تدريبية في فن الحوار وآدابه، وأخرى في تزكية النفس وتمرين الدعاة على قيمة الصدق في الأعمال والأقوال وسائر أمور الدعوة.

الكلمات المفتاحية: فن الحوار – صدق التحاور – رسائل الملوك – دعوة الملأ.

مقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ورسوله المجتبى. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي النهى، ومن تبعهم بإحسان وسار على دربهم واقتفى. أما بعد:

فإن الدعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمه، وبث أحكامه وقِيَمه، وإقناع مخالفيه، وإفحام خصومه واجبٌ شرعي ومطلب مرعي، وقد جعل الله تعالى هذا السبيل أفضل ما يقوم به المسلم وينشده المؤمن. قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[1] . قال العلامة السعدي: (هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً. أي: كلامًا وطريقة، وحالة {مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)[2]، وقد سلك السابقون أفضل الطرق وأحسن الوسائل في نشر الإسلام؛ ومن أعظم تلك الوسائل: الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، والإقناع بالحجة البالغة، والدلالة الباهرة، فحاوروا جميع صنوف الكافرين من أهل الكتاب وغيرهم من الكفار الأصليين؛ الأمر الذي كان له أعظم الأثر في إقناع قادتهم وقطع حجج أحبارهم، وخير مثال لتلك الحوارات

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى 1420هـ 2000م، ص: (749).

الهادفة المثمرة ما دار بين هِرَقْل وأبي سفيان - رضي الله عنه -، وهو حوار أساسه الصدق، وباعثه الجد والإخلاص، وهذه الورقة في بيان الصدق في الحوار، وأثره في الإقناع بالإسلام؛ تطبيقاً على هذا الحوار العظيم الذي سارت بذكره الركبان، وأثنى عليه أرباب العقول وأهل الشأن.

مشكلة الدراسة وأسئلتها: تكمن مشكلة هذه الدراسة في أن الحوار المؤثر لابد من اشتماله على قيمة الصدق التي يتحلى بها كلٌ من طرفي الحوار؛ حيث إن أعظم ما أثّر في حوار هِرَقْل لأبي سفيان - رضي الله عنه -، وغيّر من نظرته تجاه الإسلام هو صدق أطراف الحوار مما يقوي ضرورة دراسة هذا الحوار المبني على هذه القيمة الأخلاقية العظيمة، ويتفرع على ذلك **عدد من الأسئلة**:

- هل للحوار الصادق أثر في الإقناع بالإسلام؟ وهل تغيير نظرة هرقل للإسلام كانت بسبب صدق الحوار؟
- ما مفهوم الصدق وأهميته؟ وما المراد بالحوار؟ وما هي مقوماته؟

فروض الدراسة:

- للصدق في الحوار أثرٌ عظيم في استمرار الحوار، وتقبل الأفكار والاقتناع بها.
- من ثمرات صدق الحوار اقتناع هرقل بالإسلام، وتصديقه بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أهمية الدراسة: يكتسب هذا الموضوع أهميته من المكانة العليّة التي تتبوؤها قيمة الصدق لا سيما في الحوار والمناقشة؛ حيث دلّت كثير من الوقائع على أن الحوارات الصادقة تثمر ثمار يانعة، وتحدث آثاراً جليلة. كما أن ربط قيمة الصدق في الحوار بهذا النموذج الذي حدث في صدر الإسلام مع النصارى؛ حيث يظهر من خلاله تطبيق دعاة الإسلام وأسلافه لخُلق الصدق، وعنايتهم بهذه القيمة الإنسانية النبيلة، وإدراكهم لأهميتها في حواراتهم التي أدت إلى تحول كبير في تاريخ الإسلام.

الأهداف:

1/ بيان مكانة الصدق وفضله وضرورته في الحوار.

2/ الوقوف على مفهوم الحوار وأهميته في الدعوة إلى الإسلام والاقناع به.

3/ إبراز أهمية حوار هِرَقْل لأبي سفيان - رضي الله عنه -، وما يستفاد منه من دروس علمية وعملية.

4/ إظهار الأثر المترتب على صدق الحوار استهداءً بهذا النموذج.

المنهج المتبع: الاستقرائي التحليلي.

مصطلحات الدراسة:

1/ الاقناع: مصدر من قنع، وتدور مادته حول: الرضى، والاطمئنان والركون إلى الشيء[1].

2/ حوار هِرَقْل: يراد بحوار هرقل: ما دار بينه وبين أبي سفيان بن حرب – رضي الله عنه -، وسيأتي تفصيله في مطلب مستقل.

الهيكل: اقتضت طبيعة هذه الورقة أن تُجعل في مقدمة ومبحثين وخاتمة على هذا النحو:

مقدمة: وفيها مشكلة الدراسة وأسئلتها وفروضها وأهميتها، والأهداف والمنهج المتبع والمصطلحات.

المبحث الأول: الصدق والحوار مفهومٌ وأهمية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الصدق وأهميته.

المطلب الثاني: ماهية الحوار ومكانته.

المبحث الثاني: حوار هِرَقْل لأبي سفيان - رضي الله عنه - سردٌ وفوائد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سرد حوار هِرَقْل لأبي سفيان - رضي الله عنه -.

المطلب الثاني: الفوائد المستفادة من الحوار.

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت: عبد السلام هرون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م، (33/5)، والمعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين – مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (763/2).

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

الصدق والحوار مفهومٌ وأهمية

وفيه مطلبان

المطلب الأول: مفهوم الصدق وأهميته:

أولاً: مفهوم الصدق: تدور مادة الفعل (صَدَقَ) حول القوة والإخبار بالواقع؛ حيث صار يطلق على كل شيء قويٍ يطابق واقعه في القول وغيره[1]. قال الرّاغب: (الصّدق مطابقة القول الضّمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تامّاً، بل إمّا ألّا يوصف بالصّدق، وإمّا أن يوصف تارة بالصّدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين)[2]، وقيل: استواء السّرّ والعلانية والظّاهر والباطن بألّا تكذّب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله[3].

وللصدق دواعٍ تدعوا إليه وتقود إلى تحرّيه. منها: العقل؛ لكونه موجباً لقبح الكذب، والشّرع: حيث ورد بوجوب اتّباع الصّدق وحظر الكذب، والله سبحانه لم يشرع إلّا كلّ خير، والمروءة: لأنّها مانعة من الكذب باعثة على الصّدق، وحبّ الاشتهار بالصّدق: فمن يتمتّع بهذا الاشتهار بين النّاس، لا يردّ عليه قوله، ولا يلحقه ندم[4].

والصدق يكون في الأقوال بأن يتكلم بمطابقة الواقع من غير كذب، ويكون في الأعمال بحيث يستوى عمله على الأمر والمتابعة، ويكون الصدق في الأحوال؛ وذلك باستواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص[5].

ثانياً: أهمية الصدق ومكانته: يدل على أهمية الصدق ومكانته وفضله عدة أمور:

الأول: الأمر به والحض عليه: وذلك في غير ما آية وحديث؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)[1]؛ فهذه الآية بمنزلة التذييل لقصة غزوة تبوك وخبر المتخلفين عنها؛ فإن القصة مشتملة على ذكر قوم اتقوا الله فصدقوا في إيمانهم وجهادهم فرضي الله عنهم، وذكر قوم كذبوا في ذلك واختلقوا المعاذير وحلفوا كذباً فغضب الله عليهم، وقوم تخلفوا عن الجهاد وصدقوا في الاعتراف بعدم العذر فتاب الله عليهم، فلما كان سبب فوز الفائزين في هذه الأحوال كلها هو الصدق لا جرم أمر الله المؤمنين بتقواه وبأن يكونوا في زمرة الصادقين مثل أولئك الصادقين الذين تضمنتهم القصة.

والأمر ب(كونوا مع الصادقين) أبلغ في التخلق بالصدق من نحو: اصدقوا. ونظيره (واركعوا مع الراكعين)[2]. وفي الحديث: (عليكم بالصدق ...)[3].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، (339/3)، والمعجم الوسيط، (510/1).

(2) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان الداوودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1، 1412هـ، ص: (478).

(3) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، (2474/6).

(4) انظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، دار مكتبة الحياة، 1986م، ص: (263).

(5) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1416هـ 1996م، (258/2).

(1) سورة التوبة، الآية: (119).

(2) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م، (54/11).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (105)، كتاب البر والصلة والآداب، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (2013/4).

الثاني: النهي عن ضده: ضد الصدق الكذب، قال صلى الله عليه وسلم: (وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)[4]، وبين سبحانه شناعة النفاق

وخطره وما يترتب عليه من دخول النار وبئس القرار. قال تبارك وتعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)[5].

الثالث: عظم الأجر المترتب عليه: حيث رتّب سبحانه وتعالى للصادقين الأجر العظيم والخير العميم. قال تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)[6]، وقال سبحانه: (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ)[7]، وقال جلّ ذكره: (هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[1]، وقال: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ)[2].

الرابع: كونه سبيل السابقين ونهج المستقيمين: قال تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)[3]. قال الإمام الطبري: (يقول تعالى ذكره (مِنَ المُؤْمِنِينَ) بالله ورسوله (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضرّاء، وحين البأس (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أُحد، وبعض في غير ذلك من المواطن (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قضاءه والفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوّه)[4].

الخامس: حمد آثاره: يُهدى الصادقون إلى الخير ويوفقون إلى السداد وتكون عاقبتهم الجنة؛ قال تعالى: (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ)[5]، وقال صلى الله عليه وسلم: (فإن الصدق يهدي، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً)[6].

وهذه الأمور آنفة الذكر تدل على ضرورة الصدق في الحوار؛ فإن من وفق إليه أثمر حواره النتائج المرضية والثمار الندية؛ كما سنرى في هذا الحوار.

المطلب الثاني: ماهية الحوار ومكانته:

أولاً: ماهية الحوار: ترجع كلمة حوار في لغة العرب إلى رجوع شيء ودورانه[7]، ويراد به: تراجع الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[8]؛ ذلك لأن كلاً من المتحاورين يرجع بالكلام إلى الآخر.

---

(4) سبق تخريجه في الهامش السابق.

(5) سورة النساء، الآية: (145).

(6) سورة النساء، الآية: (69).

(7) سورة الأحزاب، الآية: (24).

(1) سورة المائدة، الآية: (119).

(2) سورة الزمر، الآية: (33-35).

(3) سورة الأحزاب، الآية: (23).

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر ابن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ 2000م، (237/20).

(5) سورة محمد، الآية: (21).

(6) سبق تخريجه ص: (7).

(7) انظر: مقاييس اللغة، (115/2).

(8) انظر: تاج العروس، المرتضى الزبيدي، دار الهداية، (108/11)، ولسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ، (219/4).

والحوار في الاصطلاح: هو بنفس المعنى اللغوي السابق أو قريب منه: مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة[1]، وتوجد ألفاظ قريبة من الحوار والجدال منها: المحاجة والمناظرة والمناقشة والمباحثة. والغاية منه إقامة الحجة، ودفع الشبهة، والوصول إلى حل وسط، أو نتائج مرضية لكل من طرفي الحوار على حسب الموضوع المحاور فيه.

ثانياً: مكانة الحوار وآدابه:

1/ للحوار مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة دلت عليها أدلة الشرع والعقل؛ فمن ذلك:

- يعتبر الحوار من أهم أساليب الدعوة إلى تعالى؛ قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[2]، وكل داعٍ إلى الله عز وجل لابد له من سلوك هذا الأسلوب؛ لإقناع المدعوين وترغيبهم في اعتناق الإسلام، وعامة الرسل الكرام وأتباعهم باشروا هذاالأسلوب كما في كثير من آي القرآن الكريم وحوداث السير والتاريخ.
- تقريب الشّقة، وقطع الخصومة؛ حيث يعمل الحوار على تقارب وجهات النظر بين طرفي النزاع، وتفويت فرص القتال والاحتراب لما يكون فيه من اعتراف كل طرف بما عند الآخر.
- ما يثمره الحوار من الوصول إلى نتائج وحلول عن الأمور محل الصراع؛ فقد ثبت بالتاريخ والتجربة أن كثيراً من مشكلات الشعوب، والدول والأفراد كان الحوار سبباً في حلها والتخلص من آثارها.
- عدم اقتصاره على جوانب معينة؛ بل هو واسع المجالات رحب التطبيق في كل قضية عظمت أو صغرت، فمشكلات الأسرة وما يقع بين الزوجين وكذا الخصومة بين شخصين في المجتمع قريبين أو بعيدين، ومشاكل القبائل والشعوب؛ يكون حلها بالحوار، فهو أسلوب شامل التطبيق والممارسة لا ينحصر في مشكلة دون أخرى.

2/ لابد للمحاور من التحلي بشروط وآداب من شأنها تجعل الحوار مفيداً هادفاً. منها:

- التزام القول الحسن وتجنب منهج التحدي والإفحام.
- حسن الاستماع وأدب الانصات وتجنب المقاطعة.
- تقدير الخصم واحترامه.
- حصر نقاط المحاورة وموضوعها.
- الإخلاص والتجرد للوصول إلى الحق والهدف[1].

وهذه الشروط والآداب وغيرها قد اشتمل عليها حوار هِرَقْل لأبي سفيان - رضي الله عنه -، الأمر الذي جعله حواراً مهماً مثمراً له أهمية بالغة في موضوع الحوار وطرائقه وتطبيقاته وما ينبغي أن يتحلى به طرفا النزاع، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني

حوار هِرَقْل لأبي سفيان – رضي الله عنه -

وفيه مطلبان

المطلب الأول: سرد الحوار:

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس، أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره: (أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشأم في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه،

(1) انظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن حميد، دار المنار للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1415هـ 1994م، ص: (6).

(2) سورة النحل، الآية: (125).

(1) انظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن حميد، ص: (25-36).

فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبا، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال:

فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك، قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين " و {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام. وكان ابن الناظور، صاحب إيلياء وهرقل، سقفا على نصارى الشأم يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء، أصبح يوما خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناظور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مداين ملكك، فيقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم، أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا، فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس

من الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه)(1).

المطلب الثاني: الدروس المستفادة من الحوار:

أولاً: الدروس المتعلقة بموضوع الحوار:

مضمون الحوار الذي دار بين هرقل وأبي سفيان كان عن حقيقة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتأكد من صحة هذه الدعوى وصدقها، وكان سبب ذلك الكتابَ الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم لهرقل يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما بلغ هرقل الكتاب أراد أن يستوثق من الأمر ويجمع معلومات عن ماهية ما يُدعى إليه من هذا الدين الجديد، فسأل هرقل أبا سفيان عن أمور استدلّ بها بعدُ على صدق دعوى النبوة؛ ذلك لأن هرقل كان نصرانياً وعنده علم من الكتاب فيما يتعلق بصفة رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما كان يتمتع هرقل بصفات الذكاء والحكمة والعقل كل ذلك جعله يستدل بمجموع ما أخبره به أبو سفيان عن رسول الله وعن ماهية الدعوة على أن ما جاء به هذا الرسول بهذا الدين حق لا مرية فيه؛ فقد استوثق عن ذلك أقرب الناس نسباً مع أن أبا سفيان في ذلك الوقت لم يكن مسلماً، وهذا كفيل بأن يعطي الحقيقة من غير انحياز؛ خاصة وأن هرقل عمل كل الوسائل التي تجعل الحوار صادقاً والمعلومات التي قيلت عن هذا النبي وعن دينه واقعية مما أدى إلى تأثيرها وقبولها.

ثانياً: الدروس المتعلقة بآداب الحوار:

يستفاد من حوار هرقل لأبي سفيان وأصحابه مجموعة آداب تصلح لأن يستهدي بها كلُ مريد للحوار، فمنها:

- مراعاة اللغة التي يحصل بها التداول أثناء الحوار؛ فإن تعزر ذلك فيؤتى بوسيلة أخرى ليحصل بها الغرض، وهذا ظاهر في اتخاذ هرقل مترجماً يترجم له ما يقوله أبو سفيان.
- ضرورة وحدة موضوع الحوار، وما يتفرع عنه ويتعلق به؛ فقد كان حوار هرقل بالأساس حول التأكد من صحة دعوى هذا النبي، وتفرع على ذلك طرح عدد من الأسئلة هي في الحقيقة معضدٌ لما يريده هرقل من الوصول إلى الحقيقة.
- معرفة أطراف الحوار بما يحاورون فيه وبواقعه، وإدراكهم لكل أطراف موضوع الحوار؛ فإن هرقل سأل أسئلة كلها تدور حول دلائل النبوة، كما أن أبا سفيان أجاب عن كل ما يتعلق بالأسئلة لعلمه المطلق بحقيقة الدعوى والداعي، فجاء جوابه مطابقاً للواقع.
- وجوب تمتع طرفي الحوار بالذكاء والفطنة والقدرات الحوارية، وجدية كل من المتحاورين للوصول إلى نتائج مقنعة.
- ينبغي في نهاية الحوار اعتراف أطرافه أو أحدهما ما توصل إليه من حقائق وتَقبُل ما ظهر له واقتنع به؛ فقد عبّر هرقل عن كل ذلك بوضوح وشفافية.

ثالثاً: الدروس المتعلقة بقيمة الصدق:

هذا الحوار كان مبتدؤه الصدق؛ فإن هرقل كان حريصاً منذ بداية الحوار أن يكون عريّاً عن الكذب، ولذلك عمل على إدارة هذا الحوار بأمرين:

الأول: سؤاله عن أقرب الناس نسباً بالرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولا شك أن القريب أحرى بالاطلاع على الأمور الظاهرة والباطنة من غيره، ثم إنه لا يقدح في نسب قريبه، ولا فيما يتعلق بصفاته وأخلاقه.

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، (8/1)، ومسلم في صحيحه، برقم: (74)، كتاب الجهاد والسير، (1393/3).

الثاني: جعل أصحاب أبي سفيان وراءه؛ لئلا يستحيوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب، يعني: يكذبوه دون أن ينظروا في وجهه، يقول أبو سفيان: (فوالله لولا الحياء من أن يأثِروا -ينقلوا- عليَّ الكذب لكذبت عليه)، وهذا دليل على أن الكذب في الجاهلية كان عيباً كبيراً، وربما كان أبو سفيان يضمن أنهم لو كانوا وراءه لن يكذبوه؛ لأنهم مشتركون في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن ما الذي منع أبا سفيان من الكذب؟ حتى لا يُنقَل عن سيد قريش إذا رجعوا أنه كَذَب؛ وهذا عيب كبير.

ثم إنه قد ظهر صدق هرقل في عدة أمور:

الأول: جده وحرصه على معرفة خبر هذا النبي الجديد، والبحث عن أقرب الناس إليه، وهذا دليل على صدق التوجه وقوة العزيمة في معرفة ما يدور حول إقليمه من تغيُّرات.

الثاني: يدل على صدق هرقل وقوة إرادته لمعرفة الخبر أنه جاء بأبي سفيان وأصحابه وجعل أصحاب أبي سفيان خلفه شدة منه وحرصاً على التوثق من الخبر، وصدقه ومطابقة الواقع.

الثالث: صدق هرقل مع أبي سفيان وأصحابه؛ فإنه لم يكتم عنهم شيئاً مما يدور في نفسه من علمه الذي علمه من كتبه بخبر خروج هذا النبي؛ بل صار يخبرهم بأنه كان يعتقد خروجه، وأخبرهم بأنه نبي الله صدقاً، ثم أظهر ما يجده في نفسه وما يرغب فيه من خدمته والإيمان به.

علاوة على ذلك؛ فإن أبا سفيان هو الآخر لم يكن بأقل درجة في الصدق من هرقل؛ فقد ظهر ذلك منه في كونه خشي أن يؤثر عنه الكذب! وهذا من أعظم البواعث على الصدق في الأخبار، كما أنه حكى عن وصف رسول الله وعن حقيقة دينه وعن موضوع هذا الدين وما يدعو إليه أوضح كل ذلك بكلام ليس عليه مزيد مع أنه كان من أعداء هذا الدين ولم يكن مؤمناً به. لكن لما كان باعث ذلك الصدق وخشية الكذب كان هذا الحوار الصادق في كل حيثياته؛ الأمر الذي أدى إلى نتائج باهرة وثمرات ظاهرة!

رابعاً: نتيجة الحوار وثمرته:

كانت نتيجة هذا الحوار العظيم الذي دار بين هرقل وأبي سفيان رضي الله عنه أنه أوضح حقيقة الإسلام وجلّى ماهية ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كشف عن طرف من أوصاف رسول الله عليه الصلاة والسلام، وما تمتع به من الخلال التي تدعوا إلى تصديقه واليقين بأنه نبي الله حقاً ورسوله صدقاً، فقد تعرّف على الإسلام هرقل ومن كان في مجلسه وعلموا حقيقة هذا الدين الذي ظهر في جزيرة العرب، ومن أعظم ثمرات هذا الحوار أن هرقل صدّق بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثر بذلك أشد التأثير حتى قال: (فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه)، ومن أهم نتائج هذا الحوار العظيم الصادق وقوع الإسلام في نفس أبي سفيان، وإدراكه عظمة الإسلام ومكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزلته، فكان مما قال أبو سفيان: (فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام).

الخاتمة

وفيها النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

1/ يعد الحوار من أقوى وأهم أساليب الدعوة قديماً وحديثاً؛ لما يترتب عليه من نتائج وحلول ترضى الأطراف المتحاورة.

2/ الصدق قيمة إسلامية نبيلة ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم بل كل إنسان؛ لا سيما القائمون على أمر الدعوة الإسلامية.

3/ الصدق في الحوار يساعد في نجاح الحوارات وقطعها للتخاصم وتقريب الشّقة خاصة إذا رُوعِي فيه آداب الحوار وشروطه.

4/ حوار الأديان عامة وأهل الكتاب خاصة له تاريخه وعمقه في حركة الدعوة الإسلامية.

5/ سؤال هرقل لأبي سفيان أظهر مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن حقيقة خلقه وموضوع دعوته.

ثانياً: التوصيات:

1/ على الممارسين للحوار مع أهل الأديان التزامهم بآداب الحوار، والتجرد لقبول الحق بعيداً عن التعصب.

2/ أوصي الدعاة إلى الله تعالى والقائمين على أمر الوعظ والإرشاد بضرورة الصدق مع الله تعالى، ومع المدعوين في حواراتهم لهم سواءً أكانوا مسلمين أو غير مسلمين.

3/ على مراكز البحوث، ومؤسسات الدعوة لا سيما القائمة في بلاد غير إسلامية عليهم إقامة دورات تدريبية في فن الحوار وآدابه، وأخرى في تزكية النفس وتمرين الدعاة على قيمة الصدق في الأعمال والأقوال وسائر أمور الدعوة.

فهرس المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، دار مكتبة الحياة، 1986م.
3. أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن حميد، دار المنار للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1415ه 1994م.
4. تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي، دار الهداية، بدون تاريخ.
5. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م.
6. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى 1420هـ 2000م.
7. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر ابن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ 2000م.
8. صحيح الإمام البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه.
9. صحيح الإمام مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.
10. لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ.
11. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1416هـ 1996م.
12. مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1421ه 2001م.
13. المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين – مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، بدون تاريخ.
14. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت: عبد السلام هرون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
15. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان الداوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412ه.
16. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، بدون تاريخ.